

كلمات لا تنقصها الصراحة:

إلى المجتمعين اليوم فى بغداد:

**حذار أن تتخدعوا بشعارات هؤلاء البعثيين، الضالين، المضللين**

**الذين لا يعملون ويؤذيهم أن يعمل الناس**

المصور 1978/11/3

بقلم: صبرى ابو المجد

فى يوم الثلاثاء الأسبق الموافق 22 ذى القعدة 1398 - 24 أكتوبر "تشرين أول" 1978.. شهد العالم كله تمثيلية هائلة، على مسرح بغداد العتيد، كان بطاها: حافظ أسد، وأحمد حسن البكر.

وصل حافظ أسد رئيس نظام البعث السورى إلى مطار بغداد ظهرا وكان على رأس مستقبلية أحمد حسن البكر وبعض الوزراء وكبار المسئولين فى النظام البعثى العراقى.

وللوهلة الأولى، لاحظ الصحفيون ورؤساء البعثات الدبلوماسية فى بغداد اختفاء كل قيادات البعث السورى، أعضاء القيادة القومية للبعث، الموجودين فى بغداد منذ سنوات عديدة، والتي كان نظام البعث العراقى يعتبرها هى القيادات الحقيقية للبعث السورى، بينما كان حافظ أسد ونظامه يعتبرهم من الخونة.. ولذلك فقد أصدر ضدهم أحكام الإعدام.

وحتى فى مأدبة العشاء الكبرى التى أقيمت على شرف حافظ أسد وحضرها كل من "هب ودب" من القيادات البعثية فى العراق، لم يظهر ميشيل علق، وأمين الحافظ وشبل العيثمى، وغيرهم وغيرهم من قيادات البعث السورى. وكان اختفاء هذه الشخصيات، التى يعتبرها النظام العراقى، هى الممثلة الشرعية للبعث السورى، والتي اختارها ضمن أعضاء القيادة القومية للبعث كله.. كان اختفاء هذه الشخصيات فى حد ذاته دليلا على أن الخلافات والاختلافات القائمة، بين بعث بغداد وبعث سورية.. لا تزال كما هى، رغم وصول حافظ أسد إلى بغداد.

لم يشترك فى استقبال حافظ أسد، سوى صادم حسين، وطه ياسين رمضان، وطارق عزيز، وعدنان حسين، وعدنان خير الله، وسعدون حمادى.. أما غيرهم من قيادات البعث السورى فى بغداد، ومن قيادات البعث العراقى فى بغداد أيضا، فقد اختفوا تماما. وضحكت بغداد - وشر الأمور ما يضحك - عندما قدم السيد إبراهيم

محمد إسماعيل أمين العاصمة العراقية، "مفتاح" بغداد الذهبي لحافظ أسد، تكريماً له من الحكومة العراقية، التي تكن له - كما قال أمين العاصمة العراقية- الود والإخاء.

كما ضحكت جماهير الشعب العراقي كله، وهي ترى أحمد حسن البكر وصادم حسين يحتضان حافظ أسد.

والحقيقة أن الشعب العراقي، بصورة عامة، وشعب بغداد بصورة خاصة عندما ضحك من أعماق قلبه، على تلك التمثيلية الهائلة على "مسرح بغداد" كان محقاً إلى أبعد الحدود. فمنذ أربعة أيام فقط، كانت كل أجهزة الإعلام في العراق، من صحافة وإذاعة وتلفزيون، تصف ليلاً ونهاراً، حافظ أسد "بالخائن العميل، التصفوي، ربيب الاستعمار الأمريكي المتحالف مع الصهيونية والإمبريالية للقضاء على الثورة العربية، سفاح بيروت". كما كانت كل أجهزة الإعلام العراقي تصف النظام البعثي السوري الحاكم بأنه: نظام رجعي، متعفن، خائن، متآمر، تصفوي، استسلامي، معاد إلى أبعد الحدود للقضية العربية.

وخلال الساعات التي كان يقضيها حافظ أسد في بغداد، كانت جماهير عديدة من أفراد الشعب العراقي العظيم، تعيد قراءة صحيفتي "الجمهورية" و"الثورة" الناطقتين بلسان البعث العراقي.. وما جاء فيهما عن النظام السوري، ومن بينها ما يلي:

"رأس الحرية لتنفيذ المخطط الاستعماري في لبنان".

و.. "أن معركتنا بعد اليوم لن تكون إلا مع النظام السوري، فليتحمل هذا النظام برئاسة حافظ أسد المسؤولية كاملة".

و"لقد شددت سلطات النظام السوري مضايقاتها على تحرك موظفي السفارة العراقية بدمشق، وأضافت سلسلة جديدة من القيوم المنافية للأعراف الدبلوماسية. فرضت هذه السلطات حظراً على أي تحرك للدبلوماسيين العراقيين خارج مبنى السفارة".

و"قامت سلطات النظام السوري العميل بتدمير ثمانى سيارات شخصية لموظفي السفارة العراقية بدمشق تدميراً كاملاً".

و"الكشف عن خطة أمريكية لحل الأزمة اللبنانية. إعطاء دور أكبر لقوات الردع السورية في الشمال والقوات الدولية في الجنوب.

واشنطن مطمئنة من مواقف أسد النظام السوري معاد إلى أبعد الحدود للمقاومة الفلسطينية والحركة الوطنية اللبنانية".

و"استمرار التظاهرات ضد نظام حافظ أسد" ..

و"النظام السوري يتحالف مع الولايات المتحدة الأمريكية ضد مصالح الشعب اللبناني" ..

و"اشتداد الصراع بين أركان النظام السوري للاستحواذ على السلطة" ..

ومن بينها أيضا ما قالته وكالة الأنباء العراقية في 24 أيلول سبتمبر 1978: "كشفت إذاعة صوت سورية العربية النقاب عن اشتداد الصراع بين أركان النظام السوري للاستحواذ على السلطة، وأشارت، الإذاعة نقلا عن تقرير حصلت عليه الحركة الوطنية السورية، إلى وقوع خلافات شديدة بين على حيدر قائد قوات النظام السوري الخاصة، ورفعت أسد قائد قوات سرايا الدفاع، وقالت أن سبب الخلافات هو حصر مهمة القتال في لبنان بالقوات الخاصة، وإعادة سرايا الدفاع التي يتزعمها رفعت أسد عن القتال الدائر على الساحة اللبنانية، ومنحها امتيازات خاصة، بحجة تحملها مسئولية الدفاع عن النظام السوري. أن موقف نظام حافظ أسد، يشكل خطورة متقدمة على طريق إنهاء القضية المركزية في النضال القومي العربي، قضية فلسطين، ولصالح الاغتصاب الصهيوني.

وتتساءل الصحف العراقية مرة أخرى:

"لماذا يسكت السيد عرفات ويتغاضى عن كل الجرائم التي يرتكبها حليفة حافظ أسد. إن موقف السيد عرفات من النظام السوري، ليس له إلا تفسير واحد هو أن القائد العام لقوات الثورة الفلسطينية أصبح شريكا للنظام السوري في كل شيء.

وتحت عنوان "تأديب الحليف" قالت الجمهورية العراقية في 3 يوليو تموز 1978.

"المراقبون الذين تابعوا اشتباكات أمس، قالوا: أن تدخل قوات الردع ضد الميليشيا اليمينية الكتائبية ليس انحيازاً لصالح أنصار فرنجية، فهناك من التنسيق الرسمي بين النظام السوري كنظام، وحزب الكتائب كحزب.. ما هو أكبر من العلاقات التقليدية، وصيغته لجنة تنسيق عليا. لكن تأديب الكتائب من قبل قوات الردع السورية، يأتي لأن الحليف الكتائبى تصرف أكبر من حجمه، وأراد أن يتدخل بصورة أسرع في تنفيذ "صفحات" مستقبل الوضع في لبنان، بتعاونه الفاضح مع تل أبيب".

وفي اليوم التالي تكتب الجمهورية العراقية أيضا عن تدخل النظام السوري في لبنان قائلة:

"إن الهدف هو بسط الهيمنة وإخضاع حلفاء الأمم- الكتائب- وتصفية مراكز نفوذهم في الشمال، رغم ما يتمتع به أولئك الحلفاء من غطاء عسكري سياسي يوفره النظام السوري لهم. أن الجبهة اللبنانية اليمينية، لم تكن تتمكن من أن تصل بهذا القطر العربي إلى هذه الأوضاع ذات النتائج والأبعاد الخطرة على عروبتة

وأصالته وواقعه السياسي والجغرافي، لولا دعم النظام السوري وتدخله، منذ بداية الأحداث المؤسفة في لبنان، وحتى يومنا هذا لصالح القوى اليمينية، واتخاذ الموقف المضادة للمقاومة الفلسطينية، وحليفها الطبيعي الحركة الوطنية اللبنانية.. هذا الموقف اللا قومي من النظام السوري الحاكم، كان من أبرز نتائجه، سقوط تل الزعتر، واستمرار الاحتلال الصهيوني للجنوب".

يقرأ الشعب العراقي العظيم كل ذلك. وأكثر من ذلك، ويتذكر أقوال وخطب وأحاديث أحمد حسن البكر وصادم حسين وغيرهما من قيادات البعث العراقي.. يتذكر الاتهامات التي ظل يوجهها كل من صدام حسين وأحمد حسن البكر إلى حافظ أسد والى نظام الحكم السوري. ويذكر بالأخص ما قاله أحمد حسن البكر وصادم حسين عن خيانة حافظ أسد ونام حكمه في حرب أكتوبر - تشرين 1973، بل أن الشعب العراقي ليذكر عشرات، بل مئات من الكتب والكتيبات التي طبعتها ووزعتها الحكومة العراقية ضد حافظ أسد ونظامه العميل.

ومن بين ما يذكره الشعب العراقي كذلك، تلك الرسائل التي كان يبعث بها أحمد حسن البكر - عن طريق الإذاعة - إلى حافظ أسد، يذكره فيها بالمواقف الخيانية التي وقفها النظام السوري، بالنسبة للقوات العراقية التي حضرت إلى الجبهة، بعد خمسة أيام من بدء حرب أكتوبر - تشرين.

يذكر الشعب العراقي كلمات أحمد حسن البكر، وبالذات كلماته التي وجهها إلى قيادة البعث السوري:

كيف تفسرون أقدامكم على شن حملات واسعة علينا قبل أيام من حرب تشرين الأول، وأنتم تعرفون ويعرف كل العرب، أن العراق هو - على أقل تقدير - العمق الاستراتيجي لسورية في أية معركة مع العدو.

كيف تفسرون مواقفكم لمساندة الجيب العميل في المعركة الكردية، الذي كان يشغل جزءا مهما من طاقات الجيش العراقي، الذي يفترض أن يقف على الجبهة الشمالية.

وكيف تفسرون حبسكم المياه عن أبناء العراق الذين يم بيخلوا بالدم على أرضهم العربية في الجولان.

ويذكر الشعب العراقي مثلا، الكتيب الذي قدمته وزارة الإعلام العراقية في حزيران 1976، والذي يحفظ

منه الشعب العراقي عن ظهر قلب السطور التالية:

"أن النظام السوري إلى أذنيه في المؤامرة الأمبريالية الصهيونية لتصفية القضية الفلسطينية. أنه لا يريد الجبهة الشمالية المقاتلة، لأنه لا يريد القتال أصلا. فهو النظام ذاته الذي سلم الجولان العربية في 5 حزيران عام 1967 للصهاينة دون قتال، وكان ذلك نتيجة طبيعية للحركة التي قام على أساسها هذا النظام في 23 شباط عام 1966، حينما انتزع السلطة من القيادة الشرعية للحزب بقوة السلاح ليسعى إلى تصفية النضال القومي للشعب العربي السوري الذي كان أبدا طليعة من طلائع الأمة العربية على طريق التحرير. وقد وضحت بجلاء حقيقة

هذا النظام في حرب تشرين الأول عام 1973 وكاد يفقد دمشق، لولا نجدة الجيش العراقي الباسل: أن الجماهير العربية تصرخ وبصوت واحد، في وجه حكام دمشق، لقد طفح الكأس، وبلغ السيل الزبا".

وإذا كان الشعب العراقي يذكر كل ذلك، وأكثر من ذلك، ويحفظه عن ظهر قلب، لكثرة ما كانت تردده وتذيعه الصحف البعثية، والإذاعة البعثية في العراق، كل يوم، وكل ساعة، فإن الشعب العربي العظيم في سورية يذكر في نفس الوقت كل ما قاله حافظ أسد ونظام حكمه في قيادة البعث العراقي، منذ 23 شباط عام 1966 أثر تسلم حافظ أسد وجماعته الحكم في دمشق إلى قبل أربعة أيام مضت - لقد تبنى النظام السوري كل قضايا العرب، وخاصة القضية الفلسطينية، وتخصص في السنوات الأخيرة للهجوم على "حليفه" حزب البعث العراقي".

ولو أننا حاولنا أن ننقل بعض ما جاء في صحيفتي البعث والثورة، الناطقتين بلسان البعث السوري ضد صدام حسين وأحمد حسن البكر لاحتجنا إلى مجلدات. أن كل عدد صدر من صحيفتي البعث السوري، منذ فبراير 1966 إلى ما قبل أربعة أيام خلت، لا تخلو صفحة من صفحاته، من "الإشادة" بمآثر صدام حسين وأحمد حسن البكر، والنظام العراقي في بغداد فهذه العصابة الحاكمة في بغداد، في رأى حافظ أسد وجماعته، والى ما قبل أربعة أيام فقط، هي "مجرمة" وخائنة، وعميلة، وتصفوية، واستسلامية ومتحالفة مع الصهيونية والاستعمار والإمبريالية، و..و.. الخ.